الزجّاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه « الإيضاح »

(٢)

مؤلّفات الزجّاجي :

ورد في إنباه الرواة ، وبغية الوعاة ، وكشف الظنون ، وكتاب بروكلمن كثير من أسماء الكتب التي ألّفها أبو القاسم الزجاجي في شتى علوم اللغة . ولكن لم يصل إلينا من هذه الكتب إلا القليل ، ولم يُطبع مما وصل منها إلينا إلا كتابان ، وما زال سائرها ينتظر الجهد والعزيمة لينفض عنه الغبار ، ويأخذ مكانه في المكتبات .

وسنتحدث فيما يلي عن هذه الآثار وما يتصف به كل منها ، بادئين بما طبع منها ، ومعقّبين بعد ذلك بالمخطوطات من موجودة ومفقودة .

١ — كتاب « الجُمَل » : وهو أهمّ كتب الزجاجي ، وموضوعه النحو ، تحدثوا عنه أكثر مما تحدثوا عن صاحبه ، وذكروا أنه صنّفه بمكة ، وكان إذا فرغ من باب منه طاف به سبع مرّات داعياً أن يغفر الله له وأن ينفع بكتابه قارئه [1] . وكان عدد الذين انتفعوا به وافراً لا يُحصى ، وكلهم وصفه بالبركة حتى عمّ نفعه بلاد الإسلام [2] .

---

(١) إنباه الرواة ٢ : ١٦١ ، وكشف الظنون ١ : ٦٠٣ ، وبغية الوعاة ٢٩٧

(٢) مرآة الجنان ٢ : ٣٣٢ ، وشذرات الذهب ٢ : ٣٥٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويبدو أنه كانت لهذا الكتاب قيمة علمية كبيرة في عصره ، حتى انشغل به الناس وجعلوا حفظه همّهم . قال الفِهْريّ ـ وهو أحد شرّاح الجُمَل ـ : « أكثر الناس من استعمال « الجمل » ودراسته ، وألزموا أنفسهم حفظه ودرايته ، . . . وإنه تصنيف قد أنجد وغار وطار في الآفاق كل مطار »[1] . و « الجمل » هو الكتاب النحويّ الذي عوّل عليه الدارسون حتى جاء الفارسي وابن جني فشغلاهم بكتبهما . قال القفطي : « وهو كتاب المصريين ، وأهل المغرب ، وأهل الحجاز واليمن والشام ، إلى أن اشتغل الناس بـ « اللمع » لابن جني ، و « الإيضاح » لأبي علي الفارسي »[2] .

وقيمة الكتاب هذه ، هي التي تفسر لنا هجوم العلماء على شرحه ، وازدحامهم على الكتابة عنه . قال صاحب مرآة الجنان : « أخبرني بعض فضلاء المغاربة بأن عندهم لكتابه ـ أي للجمل ـ مائة وعشرين شرحًا »[3] . وكذلك نقل ابن العماد في شذرات الذهب[4] . وقد طوت الأيام معظم هذه الشروح ، ودرست أسماؤها ، فلم يبلغنا إلا أقلها .

أما كتاب « الجمل » نفسه فقد ذكروا أنه كتاب جيد لولا طوله بكثرة الأمثلة . ولعلّ أحد المتقدّمين أطلق هذا الحكم ، بالقياس الى كتب النحويين الأولين ، فتناقل المؤلفون هذا الحكم دون تمحيص ، وهو حكم غير مصيب . فالكتاب جيد ومن تمام الجودة فيه وضوح الأمثلة . وقلّ أن نجد بين كتب النحو القديمة مثل كتاب الجمل وضوحًا وبيانًا . وليس عيبًا أن يخرج الزجاجي عمّا وضعه سيبويه من منهج في التأليف قائم على الإيجاز والاختصار ، والتكثيف ،

(١) مقدمة وشي الحلل .
(٢) إنباه الرواة ٢ : ١٦١
(٣) مرآة الجنان ٢ : ٣٣٢
(٤) شذرات الذهب ٢ : ٣٥٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والبخل بتوضيح المثال أو إتمامه ، حتى بات « الكتاب » لا يفهمه إلا فقهاء العلم والراسخون فيه .

ثم إن كتب النحو لا توضع كلها لطبقة واحدة من الناس . فلئن كان كتاب سيبويه وأمثاله يصلح للشيوخ الذين تعمّقوا في العلم ، ووقفوا على دقائقه وأسراره ، فإن كتاب الزجاجي وأمثاله لينفع المبتدئين في النحو والمتطلعين الى تعلمه ، وذلك لأنه : « كانت طريقته في النحو متوسطة ، وتصانيفه يقصد بها الإفادة » [١] . ولقد شهد له بعض العلماء أنهم بتآليفه فتحوا أنظارهم على النحو ، قال ابن السِّيْد البطَلْيوسي : « وإنه - أي الزجاجي - من أئمة هذه الصناعة ، فإنا بكتابه قد افتتحنا النظر في هذا العلم ، وهو الذي رشّح بصائرنا لما منحناه من الفهم . » [٢] .

ويجدر بنا - ونحن بصدد الحديث عن صعوبة النحو ، وضرورة تيسيره - أن نعود إلى مثل كتاب الجمل ، لنرى النحو فيه واضح العبارة ، قريب المتناول ، سخيًّا بالأمثلة ، بعيداً عن التعقيد . وتظهر رغبة الزجاجي في توضيح النحو وتقريبه حين يهجر بعض المصطلحات أو يفسرها ليكون كلامه أقرب الى الفهم ، ويصرّح بذلك فيقول : « وليس هذا من ألفاظ البصريين ، ولكنه تقريب على المبتدئ » [٣] . وكذلك ينقل أفكار الكوفيين بغير عباراتهم ، لأن ألفاظهم لا يفهمها إلا من تعوّد النظر في كتبهم » [٤] . بل هو يشرح كتاب « الزاهر » ويختصره « لأنه كتاب مقصود به المبتدئون للنظر في علم اللغة . . . » [٥] .

(١) إنباه الرواة ١ : ١٦٠
(٢) اصلاح الخلل : الورقة ١
(٣) الجمل : ٩٠
(٤) الايضاح
(٥) مختصر الزاهر : الورقة ١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والزجاجي ـ على عادة القدماء ـ يُلحق بالنحو في كتاب الجمل بعض ما يتصل بالإملاء كباب الهجاء ، وهما بحثان مفصّلان في رسم الحروف ، وباب أحكام الهمزة في الخط ، وهو بحث في قواعد الهمزة الإملائية وما دار حولها من خلاف بين البصريين والكوفيين ، الذين امتدّ اختلافهم في النحو حتى شمل قواعد الخطّ فكان لكل منهم رأي فيه ! وتعرّض في كتابه أيضاً للضرورات الشعرية خصّها بباب عنوانه «ما يجوز للشاعر أن يستعمله في ضرورة الشعر» ؛ ولكنه كان بحثاً موجزاً خالياً من الشواهد والأمثلة على خلاف العادة . وضمّن الكتاب أيضاً بعض البحوث الصوتية كباب الإمالة وباب الإدغام وما يتصل بخصائص الحروف من مهموسة ومجهورة .

ومن كتاب الجمل نسخ خطية كثيرة منتشرة في أكثر مكاتب أوربا[1] . ومن نافلة القول أن نتحدث عن نسخه الخطية بعد أن طُبع[2] . وكان طبعه سنة ١٩٢٦ بنفقة كلية الآداب في الجزائر وبتحقيق الأستاذ الشيخ ابن أبي شنب . وجاء في هذه النسخة المطبوعة أن المستشرق الألماني «يوهنس ثولف» طبع في ليبسغ سنة ١٩٠٤ مقالة لخص فيها كتاب الجمل ، وترجم إلى اللغة الألمانية الأربعة والستين شاهداً الأولى[3] .

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢ : ١٨٣

(٢) من الواجب ان أشير هنا الى وجود نسخة غير معروفة من كتاب الجمل ، فلعلّه ينتفع بها أحد المشتغلين بالعربية أو الطامحين إلى اعادة طبع «الجمل» بعد ان فقدت نسخه حتى من أشهر المكتبات العامّة وهذه النسخة في دار الكتب بالقاهرة مجلّدة مع مخطوطات أخرى ، ورقمها / ٤٨٦ مجاميع / وهي لا تحمل اسم الجمل ، ولكنها تحمل اسم الزجاجي ، وقد تبيّن لي لدى قراءتها ومعارضتها بالنسخة المعروفة للجمل ذات الرقم / ٦٧ ش / أنها نسخة أخرى كاملة من الكتاب نفسه . وقد كتبت في حلب سنة ٨٩٥ هـ . وهي تبدأ من الورقة ٩٦ وتنتهي في الورقة ١٧٠ .

(٣) الجمل : ٣٨٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأما الكتب التي أُلفت حول الجمل فكثيرة جداً ، منها الشروح ، ومنها شروح الشواهد ، ومنها في التعقيب عليه أو التعليق . . وقد رأينا أن شروحه بلغت في المغرب وحده مئة وعشرين شرحاً . ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن الجمل نسختان : كبرى وصغرى ، وأن أكثر هذه الشروح كانت للكبرى . ومن شروح الصغرى شرح ابن بابشاذ الذي شرح الجمل وألف كتاباً في الزيادة التي بين الصغرى والكبرى [١] . على أن هذه الشروح جميعاً لم يُطبع منها شيء ، فيما أعلم ، وقد ضاع أكثرها ، ولم أستطع أن أعرف منها أكثر من ثمانية وثلاثين كتاباً أقتصر على ذكر أهمها فيما يلي :

أ — شرح الجمل لأبي القاسم الحسين بن الوليد ، المعروف بابن العريف والمتوفى بطليطلة سنة ٣٩٠ [٢] .

ب — عَوْن الجُمل ، وهو شرح لشواهد الجمل ألّفه أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري المتوفى سنة ٤٤٩ لأبي الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم . وهو آخر كتاب أملاه أبو العلاء [٣] . وللمعرّي كتابان آخران يتصلان بجمل الزجاجي ، كما ذكر ياقوت [٤] ، وهما « تعليق الجليس » [٥] و « إسعاف الصديق » .

ج — شرح أبيات الجمل لابن سيده ، علي بن اسماعيل المتوفى سنة ٤٥٨ [٦] .

د — شرح الجمل لأبي الحجاج ، يوسف بن سليمان ، المعروف بالأعلم الشنتمري ، المتوفى سنة ٤٧٦ . وله أيضاً شرح أبيات الجمل .

---

(١) مقدمة الجمل .

(٢) منه نسخة خطية في دار الكتب بالقاهرة . رقما / ٤٦٤ نحو / وعدد أوراقها ١٥٥ ورقة .

(٣) معجم الأدباء ٣ : ١٦٠

(٤) المصدر السابق ٣ : ١٥٧ و ١٥٨

(٥) جاء في إنباه الرواة أنه « تعليق الخلس » ١ : ٦٤

(٦) منه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة . رقما ١٤٩٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هـ — إصلاح الخلل الواقع في الجُمل [١] ، لأبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١ . قال عنه صاحب كشف الظنون « إنه أحسن شروح الجمل » [٢] .

و — الحُلل في شرح أبيات الجمل [٣] ، للبطليوسي أيضاً ، وهو يشرح فيه معاني الأبيات ويعزوها الى قائليها . وجدير بي أن أنبه على سهو القفطي حين عدّ الكتابين السابقين كتاباً واحداً [٤] .

ز — شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد ، المعروف بابن خروف الأندلسي ، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ [٥] .

ح — شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد بن عصفور الاشبيلي ، المتوفى سنة ٦٦٩ [٦] .

ط — شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الاشبيلي ، المعروف بابن الضائع ، المتوفى سنة ٦٨٠ [٧] . وذكر السيوطي أن

---

(١) منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة ، رقمها ١١١٠ نحو . وعدد أوراقها ٧٦ ورقة مكتوبة بخط مغربيّ . وذكر محقق الجمل أن منه نسخة أخرى في مكتبة ليدن

(٢) كشف الظنون ١ : ٦٠٣

(٣) منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة ، مجلّدة مع كتاب البطليوسي السابق / رقم ١١١٠ نحو / تبتدىء من الورقة ٧٧ وتنتهي في الورقة ١٥٠ . ومنه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة رقمها ١٤٩٤ . وقال ناشر الجمل ان منه نسخة في مكتبة برلين .

(٤) إنباه الرواة ٢ : ١٦٠

(٥) ذكره السيوطي في الأشباه والنظائر ٢ : ٣٠ . وأشار إليه بروكلمن . وقال ناشر الجمل إن منه نسخة في مكتبة برلين .

(٦) نقل السيوطي كثيراً منه في الاشباه والنظائر ١ : ٢٠ و ١٠٧ و ١٤٣ و ١٤٩ و ٢١٤ و ٢٩٨ و ٣٣٨ . ج ٢ : ٧٤ و ٨٠ و ٩٨ . ومنه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة رقمها ١٤٩٢ . وقال ناشر الجمل إن منه نسخة في ليدن وأخرى في انبروزبانه .

(٧) قيل إنه في ثلاثة اجزاء . ورأيت منه جزأين في دار الكتب بالقاهرة . كتبا سنة ٧٣٥ الأول في ٩٨ ورقة والثاني في ٩٧ ورقة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أبا الحسن هذا ردّ اعتراضات البطليوسي على الزجاجي .

ي- شرح الجمل لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام النحوي ، المتوفى سنة ٧٦٢ .

وقد نقل السيوطي كثيراً من جمل الزجاجي ، وأقوال شارحيه في كتبه ولا سيما الأشباه والنظائر والاقتراح .

٢ — كتاب الأمالي :

طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٣٢٤ هـ ، وحقّقه الأستاذ أحمد بن الأمين الشنقيطي ، إلا أنه لم يكلّف نفسه عناء التعريف بالكتاب أو بصاحبه ، بل اكتفى بأن ذكر موجزاً لما قاله ابن خلكان عن الزجاجي .

وقد جاء ذكر الأمالي في كل الكتب التي تحدثت عن الزجاجي أو آثاره ، كما جاءت نقول عنه في الأشباه والنظائر (١) وفي خزانة الأدب (٢) . إلا أننا بمراجعة هذه النقول ومعارضتها بالنسخة المطبوعة نتبين أن للأمالي أكثر من نسخة واحدة ، فقد نقل البغداديّ في خزانة الأدب عمّا أسماه بالأمالي الوسطى ، ونحن لا نجد ما نقله في « الأمالي » التي بين أيدينا . وكذلك نقل السيوطي في الأشباه والنظائر كثيراً من أخبار الأمالي مما لا نجد في النسخة المطبوعة إلا بعضه فقط ، كمناظرة أبي حاتم السجستاني والتوّزي (٣) ، ومناظرة ابن الأعرابي والأصمعي (٤) . وقد يكون السبب في ذلك ، أن السيوطي كان ينقل عن نسخ الأمالي المختلفة دون أن يشير الى ذلك . فما كان منقولاً عن الأمالي الصغرى وجدناه في هذه المطبوعة وما كان عن غيرها لم نجده فيها . وهكذا

(١) خطبة الكتاب . و ج ٢ : ٢ و ج ٣ : ٢٢ و ٢٣

(٢) ج ٢ : ١٠٩

(٣) الأمالي : ٧٦ والأشباه والنظائر ٣ : ٢٢

(٤) الأمالي : ٣٩ والأشباه والنظائر ٣ : ٢٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فما دمنا لم نجد في نسختنا ما نقله البغدادي عن الوسطى ، ولا كثيراً مما نقله السيوطي ، فالأرجح أن تكون النسخة الموجودة هي الأمالي الصغرى . وقد أشار بروكلمن الى وجود الوسطى والصغرى ، ولم أعثر على غير النسخة المطبوعة التي رجّحت أنها الصغرى ، فلذلك سأقصر حديثي عليها وحدها .

كتاب الأمالي عبارة عن مجموعة أخبار وقصص متتالية متنوّعة ، لا نظام لها ، ولا رابطة بينها . ينتقل القارئ فيها من تفسير آية من سورة الكهف مثلاً ، وما قيل فيها من أقوال ، إلى خبر وقع بين معاوية بن أبي سفيان وعامله رَوْح ابن زنباع [1] ؛ ومن شعر لابن أبي ربيعة وجميل بثينة الى رثاء قيل في أحمد ابن أبي دُؤاد [2] .

ولست أدري ، لعلّ ذلك يعود إلى أن الشيخ كان يُملي دروسه على طلاّبه ، فإذا ما انتهى الخبر انتهى معه الدرس ، ثم يأتي الدرس الجديد فيأتي معه الخبر الجديد على نحو ما كان يدور في الدروس القديمة التي تعرف بالمجالس .

على أن هذا التباين في الأخبار لا يعني أن الكتاب أشتات جُمعت ، فقد تكون الناحية اللغوية هي التي تَنظم كل ما ورد في الكتاب من أخبار وحكايات وأشعار . وعناية الزجاجي باللغة تظهر في هذه الأمالي أكثر من أي ناحية أخرى ، حتى كأنها هي وحدها الغرض من إملائه ؛ إنه يورد الخبر أحياناً ولا شيء فيه غير اللغة . قال : « أخبرنا أبو عبد الله نفطويه ، عن أحمد بن يحيى ، عن ابن الأعرابي ، قال : الصبر مصدر صبرت . والصَّبْر لغة في الصَّبِر هذا المرّ . والصبر الحبس ، يقال صبرت فلاناً على كذا وكذا أي حبسته عليه . وفي الحديث أن رجلاً أمسك رجلاً فقتله آخر ، فقال : اقتلوا القاتل واصبروا الصابر أي احبسوه . والصبر الاجتراء على الشيء ، ومنه قول الله عزّ وجل :

(١) الأمالي : ٦
(٢) الأمالي : ٥٥ و ٥٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« فما أصبرهم على النار » أي ما أجرأهم عليها . وقال المبرد تأويله ما دعاهم إلى الصبر عليها (١) . وأنشد ابن الأعرابي :

سقيناهمُ كأساً سقونا بمثلها ولكننا كنّا على الموت أصبرا

أي كنا أجرأ منهم على الموت فاقتحمناه (٢) » . ومثل هذا كثير جداً في الأمالي .

وقد يتعرّض لبعض المسائل النحوية فيورد أقوال النحاة فيها ثم يذكر رأيه ويعلله كما فعل حين أورد في بعض الأخبار قصيدة الأحوص التي يقول فيها :

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام

فقال : « وأما قوله سلام الله يا مطر عليها فإنه منادى مفرد ونونه ضرورة . فأما الخليل وسيبويه والمازني فيختارون أن ينوّنوه مرفوعاً ويقولون : لمّا اضطررنا إلى تنوينه نوّناه على لفظه . والى هذا كان يذهب الفراء ويختاره . وأما أبو عمرو ابن العلاء ويونس بن حبيب وعيسى بن عمر وأبو عمر صالح بن اسحاق الجرمي فينشدونه سلام الله يا مطراً عليها بالنصب والتنوين ، ويقولون : ردّ التنوين إلى أصله ، وأصله النصب ، وهو مثل اسم لا ينصرف ، فإذا اضطر الشاعر إلى تنوينه نوّنه وصرفه وردّه إلى أصله . قال الشاعر :

ما إن رأيت ولا أرى في مدّتي كجواريٍ يلعبن بالصحراء

ألا ترى كيف نوّنه وخفضه ؟

قال أبو القاسم الزجاجي رحمه الله : القول عندي قول الخليل وأصحابه ، وتلخيص ذلك ان الاسم المنادى المفرد العلم مبنيّ على الضم لمضارعته عند الخليل وأبي عمرو وأصحابهما للأصوات ، وعند غيرهما لوقوعه موقع المضمر ، فإذا لحقه التنوين في

(١) قال الفرّاء في هذه الآية وجهان : أحدهما فما الذي صبّرهم على النار ؟ والوجه الآخر : فما أجرأهم على النار . » معاني القرآن ١ : ١٠٣

(٢) الأمالي : ٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ضرورة الشعر فالعلة التي من أجلها بني قائمة بعد ، فينوّن على لفظه ، لأنا قد رأينا من المبنيّات ما هو منوّن نحو « ايه وغاق » وما أشبه ذلك ، وليس بمنزلة ما لا ينصرف أصله الصرف . وكثير من العرب لا يمتنع من صرف شيء في ضرورة شعر ولا غيره إلا « أفعل منك » وعلى هذه اللغة قرئ قواريراً قواريراً من فضة بتنوينهما جميعاً ، فإذا نوّن فإنما يردّ إلى أصله ، والمفرد المنادى العلم لم ينطق به منوّناً منصوباً في غير ضرورة شعر وهذا بين واضح . (١) »

أما طريقة الزجاجي في هذا الكتاب فهي طريقة من يُعنى بالأسانيد عناية جيدة حتى يكاد لا يخلو من السند خبر من أخبار الكتاب ، كأن يقول : « قال أبو القاسم أخبرنا أبو اسحاق الزجاج قال أخبرنا أبو العباس المبرد عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال ... » وهذا أسلوب من اعتقد أن اللغة لا يعتدّ فيها بالرأي وإنما هي بنت النقل والرواية وللاسناد فيها المكان الأول ، ولمّا كان الزجاجي في أماليه لغوياً فقد اتبع منهج اللغويين ، أما في غير هذا الكتاب فقد يكون للزجاجي موقف آخر كما هو في الإيضاح ، حيث يحدثك عن مشاكل النحو وعلله مستغنياً عن السند ، وما ينفعك السند ما دام محدثك يعلّل لك القول حتى يقنعك قوله أكثر مما يقنعك اسم صاحب الخبر وناقله وسلسلة سنده .

وبكتاب الأمالي نختتم الحديث عن آثار الزجاجي المطبوعة لننتقل الى الحديث عن آثاره المخطوطة من موجودة ومفقودة .

٣ — الايضاح في علل النحو :

وهو الكتاب الذي سنعرض مادته ونخصّه بالحديث بعد قليل .

---

(١) الأمالي : ٥٤ و ٥٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٤ — شرح مقدّمة أدب الكاتب[١] :

وهو كتاب شرح الزجاجي فيه خطبة ابن قتيبة في كتابه المعروف بأدب الكاتب . وقد جاء في مقدمة هذا الشرح : «هذا كتاب فيه تفسير رسالة ابن قتيبة في أدب الكتاب ، تأليف أبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي» ومما قاله الزجاجي في المقدّمة : «وقد رأيت أن أشرح رسالة الكتاب الموسوم بأدب الكتاب لابن قتيبة ، لأنه ذكر فيها جملاً من الآداب غريبة ، وأعرض عن شرحها صفحاً يسوغ المقال فيها ويتسع الكلام . ففسرت ما تضمنته من اللغة باشتقاقه وتصاريفه ، ومن النحو بعلله ومقاييسه ، وأوضحت ما أومأ إليه مما ذكر ، لحاجة الكتّاب إليه من معرفة المصادر والأبنية ، وانقلاب الياء عن الواو ، والواو عن الياء ، والألف عنهما ، وجملاً من التصريف نافعة لمن نظر فيها وتأملها بعين تدبر واستبصار . وفسرت أخبار الرسول ﷺ التي ذكرها ولم يفسرها ووصلت بها ما جانسها . وذكرت معاني الكلام الذي حكاه عن المنطقيين والهندسيين ، وجملاً من المساحة تكفي من نظرها عما سواها .

وجعلت جميع ذلك موجزاً غاية الإيجاز ، ليقلّ حشوه ، وتكثر فائدته . ولم أخل كل فصل فيه من تضمينه خبراً طريفاً يشاكله ، وأبياتاً نادرة ، وبثثت معنىً ، ليكون هذا الكتاب — باحتوائه على ما ذكرته للمتطلع الى المعرفة بهذه الأشياء — أحضر فائدة ، وأسرع نفعاً من الكتاب المقصود بالرسالة . وبالله التوفيق»[٢] . (انظر صورة الأصل) . ويأخذ الزجاجي بعد ذلك بشرح كلام ابن قتيبة .

---

(١) ورد ذكر هذا الكتاب في : إنباه الرواة (٢ : ١٦٠) وبغية الوعاة (٢٩٧) وإشارة التعيين (ورقة ٢٦) وكشف الظنون (١ : ٤٨) وفهرسة ابن خير (٣٤٤) وبروكلمن (١ : ١٧١) . ومن هذا الكتاب نسخة خطية في دار الكتب بالقاهرة ، رقمها / ٣٩ ش أدب / وهي في ٧٠ ورقة ، كتبت سنة ٥٨٦ هـ بخط عادي ، وعليها شهادة بأنها عورضت بنسخة أخرى عليها خطّ ابن الخشّاب النحوي . وهي نسخة كاملة. صورها معهد المخطوطات تحت الرقم ٣٧٧ . ومنه نسخة أخرى في اسطمبول ، صورها المعهد ايضاً .

(٢) شرح مقدمة أدب الكاتب . نسخة دار الكتب رقم ٣٩ ش أدب ، الورقة ٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٥ — مختصر الزاهر :

« الزاهر في معاني الكلام الذي يستعمله الناس » كتاب لأبي بكر محمد ابن أبي محمد القاسم الأنباري النحوي المتوفى سنة ٣٢٨ . وهو مجلد شرحه واختصره الشيخ الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي[١] » ويحدثنا الزجاجي عن هذا المختصر فيقول : « هذا كتاب جمعت فيه جمل الألفاظ التي ذكرها أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري في كتابه الموسوم بالزاهر ، فشرحتها مختصرة موجزة ، وحذفت منها الشواهد وما يتعلق بها من كلامه المطوّل . وقد كان المفضّل[٢] ، صاحب الفرّاء ، أنشأ كتاباً في هذا المعنى سماه الفاخر[٣] ، جمع فيه قطعة من اشتقاق ما يكثر ترداده في المحاورات والمخاطبات ، فعمد أبو بكر محمد بن القاسم لذلك الكتاب ، فنقله نقلاً ، وذلّل صعبه وبسطه ، وكثّره بالشواهد ، وليس للكتاب ترصيف ولا نظم مستخرج يتعب فيه المؤلف ، وإنما هي حروف بأعيانها ، منقولة من كتب المتقدّمين ، معروفة منها ، فهما ومن تكلم في هذه الحروف غيرهما سواء . إلا أني تدبرت الكتاب الزاهر ، فوجدت فيه من السهو والغلط شيئاً كثيراً ، فرأيت مع اختصاره وتهذيب ألفاظه

---

(١) كشف الظنون ٢ : ٩٤٧ . وورد ذكر الزاهر في المزهر (١ : ٨٧) وفهرسة ابن خير (٣٤١) وبروكلمن (١ : ١٧١) وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان (٢ : ١٨٣) .

ومن مختصر الزاهر للزجاجي نسخة خطيّة في دار الكتب بالقاهرة ، رقمها / ٥٥٧ لغة عربية / كتبت سنة ٦٢٠ هـ بخط مغربي أندلسي . وعدد أوراقها ١٧٩ ورقة ، متوسطة الحجم .

(٢) لعلّ الصواب هو « المفضّل بن سلمة بن عاصم » ثم سقط ما بعد المفضّل ، وذلك لأن سلمة بن عاصم هو صاحب الفراء لا ابنه المفضّل .

(٣) الفاخر كتاب لأبي طالب المفضّل بن سلمة بن عاصم الكوفي ، ألّفه فيما دار واشتهر بين الناس وسار كالأمثال . وقد طبعه المستشرق الانكليزي شارلس انبروس ستوري (C. A. Story) في ليدن سنة ١٩١٥ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إصلاح ما فيه من الغلط ، وكشفه وشرحه ، لأنه كتاب مقصود به المبتدئون للنظر في علم اللغة ، فمتى تعلّق المبتدئ بشيء من هذا الكتاب ومرن عليه اعتقده ، ورأى أنه الحق دون سواه . فبيّنت للناظر فيه حقيقة الأشياء ليعرفها . ورأيته قد حكى في مواضع كثيرة للفظة الواحدة وجوهاً ، وللمسألة أجوبة ، تكثيراً لذلك ، وانما يرجع جميعه إلى أصل واحد وإن تباينت ألفاظ العلماء فيه ، فنبهت على ذلك ، وأريت كيف رجوعه إلى أصل واحد . ووجدت فيه أيضاً مواضع قد ذكرها من النحو وعلله ومن التصاريف على مذهب الكوفيين ، فذكرتها على مذهب البصريين ، ودللت على صحة مزاعمهم دون مذهب الكوفيين ، ووجدته قد ذكر في بعض الفصول شيئاً يسيراً من اشتقاق أسماء البلدان ، وترك عامة ما يحتاج إليه منها ، فأضفت إليه باباً ذكرت فيه جمهور اشتقاق أسماء البلدان ، وأسباب تسميتها . ووجدت فيه أيضاً مواضع قد ترك فيها للمسألة وجوهاً متباينة لفظاً ومعنىً قد ذكرها العلماء مشهورة ، وزيادات في الباب من اللغة لم يأت بها ، فذكرت ذلك أجمع ، ليكون الناظر في هذا الكتاب مع إحاطة علمه بما تضمنه الزاهر ، عارفاً بمواقع السهو فيه ، وبهذه الأشياء التي ذكرتها ، مع اختصار هذا الكتاب ، وإنه دون الثلث من مقدار جملة الزاهر .

وقد وقع في شيء يسير من هذا الكتاب تقديم وتأخير ، على ما اتفق من اختصار ، إلاّ أنا قد أتبنا عليه أجمع . »[1]

ولم يترك لنا أبو القاسم ما نزيده على وصف مختصره القيم ، إلاّ أن السيوطي نقل لنا كلمة تبين قيمته إذ قال : قال أبو حسن الشاري في فهرسته : كان شيخنا أبو ذر يقول : المختصرات التي فضلت على الأمهات أربعة ؛ مختصر العين

(١) مختصر الزاهر ، نسخة دار الكتب بالقاهرة رقم ٥٥٧ لغة . الورقة ١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

للزبيدي [١] ، ومختصر الزاهر للزجاجي ، ومختصر سيرة ابن اسحاق لابن هشام ، ومختصر الواضحة للفضل بن سلمة [٢] . » فتأيّدت بهذا القول شهادة الزجاجي بنفسه حين جعل مختصره فوق الأصل .

٦ — كتاب اشتقاق اسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلّق بها من اللغات والمصادر والتأويل .

جاء في إشارة التعيين أن اسم هذا الكتاب هو «شرح اسماء الله الحسنى» وأكثر الذين تحدثوا عن الزجاجي لم يشيروا الى هذا الكتاب ، وقد عدّ صاحب كشف الظنون واحداً وثلاثين عالماً ممن ألّف تحت هذا العنوان ولم يشر الى الزجاجي بينهم بل لم يذكر بينهم من مات قبل سنة ٣٨٨ ، وعلى هذا فان الزجاجي قبلهم جميعاً في السبق الى هذا النوع من التأليف [٣] .

ويعرّف الزجاجي بكتابه هذا فيقول في خطبته [٤] : «هذا كتاب أفردته لشرح اشتقاق أسماء الله عز وجل وصفاته المذكورة في الأثر أن من أحصاها دخل الجنة حسب ما رواها أهل العلم واستنبطوها بعد الرواية بشواهد من كتاب الله عز وجل فاستخرجوها منه لئلا يعارض فيها شك ، ولا يختلج في الصدور زيغ

---

(١) كتاب العين المشهور والذي ينسب للخليل ، اختصره اختصاراً حسناً ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي صاحب طبقات اللغويين والنحويين ، المتوفى سنة ٣٧٩ هـ .

(٢) الواضحة في تجويد الفاتحة ، قصيدة دالية في اثنين وعشرين بيتاً للشيخ برهان الدين بن ابراهيم الجعبري المتوفى سنة ٧٣٢ . وقد اختصرها فضل بن سلمة .

(٣) يجب أن نشير إلى أن ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ قال في مقدمة كتابه « تفسير غريب القرآن » : « نفتتح كتابنا هذا بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العلى فنخبر بتأويلها واشتقاقها ... » وبذلك يكون سابقاً لغيره ولكنه لم يفرد ذلك بالتأليف كما فعل الزجاجي .

(٤) من هذا الكتاب نسخة في دار الكتب المصرية رقمها / ٣ ش لغة وهي في ١٤٩ ورقة وصورتها في معهد المخطوطات (فلم / ٣١٢) وهي من رواية أحمد بن محمد بن سلمة النصّاني عن أستاذه الزجاجي . وسمعها منه علي بن الحسين الربعي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في التصديق بها ، على مذاهب (أهل) العربية العلماء باللغة ، العارفين بأساليب كلام العرب واشتقاقه وتصاريفه ، غير عادل عن مذهب العرب في ذلك خاصة . وأختم الكتاب بالفرق بين الاسم والنعت ، ووجوه النعت في كلام العرب ، ومجاري صفات الله عز وجل وموقعها من ذلك ، وذكر من قال بالاشتقاق ومن أبى ذلك والردّ عليه وبالله التوفيق » (انظر صورة الأصل) .

٧ — كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر :

وهو كتاب يبحث في تبادل الحروف بعضها مع بعض وتعاقبها وتناظرها [١] .

٨ — كتاب اللامات :

ذكره كثير ممن ترجموا للزجاجي كالسيوطي [٢] وبروكلمان [٣] وغيرهما ، وهو كتاب جيد يبحث في اللامات ومواقعها في كلام العرب . قال الزجاجي في خطبته : « هذا كتاب مختصر في ذكر اللامات ومواقعها في كلام العرب وكتاب الله عز وجل ومعانيها وتصرّفها والاحتجاج لكل موقع من مواقعها ، وما بين العلماء في بعضها من الخلاف . وبالله التوفيق [٤] . » (انظر صورة الأصل) .

٩ — شرح كتاب الألف واللام للمازني :

ذكر السيوطي [٢] هذا الكتاب في جملة كتب الزجاجي وأشار اليه صاحب عيون التواريخ [٥] كما أشار اليه صاحب كشف الظنون حين تحدث عن كتاب

---

(١) منه نسخة في اسطمبول مصوّرة ضمن مجموع في جامعة القاهرة / ٢٢٩٦٧ وفي معهد المخطوطات (فيلم ٣٥٦ / ٢ نحو) .

(٢) بغية الوعاة : ٢٩٧ والأشباه والنظائر ٢ : ٢٢٨

(٣) G. A. L . الذيل ١ : ١٧١

(٤) من « اللامات » نسخة في اسطمبول وصورتها في معهد المخطوطات (فيلم / ٧٩٢) ونحن الآن بصدد تحقيقه لنشره قريباً ان شاء الله .

(٥) عيون التواريخ . المخطوط . ورقة : ٣١٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الألف واللام للمازني [١] . ولم أقع على نسخة منه ولا وجدت أحداً وصفه أو تحدّث عنه .

١٠ — المخترع في القوافي :

ذكره السيوطي وقال انه وقف عليه [٢] وذكره صاحبا « عيون التواريخ » و « كشف الظنون » [٣] . وأما ابن النديم فلم يذكر للزجاجي سواه ولكنه اقتصر من عنوانه على « القوافي » فقط فقال « وله — للزجاجي — من الكتب كتاب القوافي » [٤] وعدّهما محقق الجمل كتابين ثم استدرك فقال عند ذكره كتاب القوافي : « ولعله هو المخترع . » [٥] وهذا هو الأرجح لأنه ما من أحد جمع بين ذكر الكتابين .

١١ — كتاب الهجاء :

لم يشر أحد إلى هذا الكتاب بين مؤلّفات الزجاجي سوى بروكلمن . إلا أن الزجاجي نفسه أشار إليه في كتاب الجمل ، فقال في باب الأفعال المهموزة : « وقد ذكرت عامتها في كتاب الهجاء . » ونقل ذلك عنه ناشر الجمل ولم يزد عليه شيئاً .

١٢ — كتاب المجموع في معرفة أنواع الشعر وقوافيه :

جاء اسم هذا الكتاب منسوباً الى الزجاجي في فهرسة ابن خير [٦] . ونقله عنه محمد بن أبي شنب محقق الجمل . ولم يذكره أحد سواهما .

(يتبع) مازن المبارك

(١) كشف الظنون ٢ : ١٣٩٦ .
(٢) بغية الوعاة : ٢٩٧ والأشباه والنظائر ٢ : ٢٢٨ .
(٣) كشف الظنون ٢ : ١٦٢٥ .
(٤) الفهرست : ١١٨
(٥) مقدمة الجمل .
(٦) فهرسة ابن خير : ٣١٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net